جامعة المنصورة
كلية الآداب

أثر القرصنة الأراجونية فى العلاقات المغربية الأندلسية فى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى

(دراسة فى وثائق أرشيف التاج الأراجونى)

إعـــداد

الدكتور / حسام محمود المحلاوى
دكتوراه التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية
كلية الآداب – جامعة المنصورة

مجلة كلية الآداب – جامعة المنصورة
العدد الحادى و الخمسون – أغسطس ٢٠١٢

أثر القرصنة الأراجونية فى العلاقات المغربية الأندلسية فى القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي

(دراسة فى وثائق أرشيف التاج الأراجونى)

د حسام محمود المحلاوى

مقدمـــة

كانت الهزيمة التى لحقت بالموحدين فى بلاد الأندلس عام ٦٠٩هـ/١٢١٢م والمعروفة باسم موقعة العقاب إيذانًا بضعف وانهيار وسقوط دولتهم فى بلاد المغرب والأندلس على السواء ، وبالفعل استمرت فى الوهن حتى زاد من أطماع بعض القوى الناشئة ، فانقضوا على أملاك الموحدين ، وكانت النتيجة هى ظهور بعض من الدول على أنقاض دولة الموحدين فى بلاد المغرب ، وظهور دولة بنى الأحمر فى غرناطة .

وبنشأة مملكة غرناطة بدأت القوى الإسلامية فى بلاد الأندلس تلتف حول زعامة واحدة هى زعامة وراية البيت النصرى . وتوافق مع قيام دولة بنى الأحمر فى بلاد الأندلس أزدياد أطماع الممالك المسيحية المجاورة لها فى أملاكها ، والرغبة فى السيطرة على البلاد الإسلامية ، ولم يجد بنى الأحمر بد من الاستعانة بدول بلاد المغرب سياسيًا واقتصاديًا ، حتى تتمكن من مواجهة أطماع الممالك المسيحية والتصدى لها .

ومع ذلك كان هناك عائقاً يقف كثيرًا فى وجه العبور من بلاد المغرب إلى بلاد الأندلس والعكس ، بسبب ازدياد حركة القرصنة فى البحر المتوسط والتى كانت

تعد عائقًا لاستمرار تلك العلاقة ، ومن هنا كان لابد للتصدى لظاهرة القرصنة والعمل المشترك بين بنى الأحمر ودول بلاد المغرب للقضاء على هذه الظاهرة .

وكان أكثر القراصنة فى تلك الفترة ينتمون لمملكة أراجون ، وعلى الرغم من العمل على التصدى لها بشتى السبل إلا أنها استمرت لفترات طويلة من تاريخ دولة بنى الأحمر .

وقد قمت بتقسيم البحث إلى مبحثين أساسيين

المبحث الأول : **حركة القرصنة الأراجونية فى حوض البحر المتوسط فى** القرن الثامن الهجرى /الرابع عشر الميلادى ،وذلك من خلال دراسة وثائق أرشيف التاج الأراجونى وذلكً من خلال دراسة وثائق أرشيف التاج الأراجونى وذلك من خلال دراسة الرسائل التى تم تبادلها بين الممالك الإسلامية ببلاد المغرب أو مملكة غرناطة من ناحية وملوك أراجون من ناحية أخرى ، وكانت تلك الرسائل يدور أغلبها فى شكل شكاوى ملوك الممالك الإسلامية من حركة القرصنة الأراجونية ومطالبة ملوك أراجون بضرورة الالتزام والتعهد بالقضاء على القرصنة.

أما المبحث الثانى : **أثر حركة القرصنة الأراجونية فى العلاقات المغربية الأندلسية** . وذلك أيضًا من خلال دراسة وثائق أرشيف التاج الأراجونى ودراسة الرسائل التى تتعلق بمثل هذه الأمور ، فالعديد من الرسائل كانت فى شكل شكوى لسلاطين بنى الحمر من أن قراصنة أراجون قد استولوا على بعض التجارات الإسلامية التى كان يتم تبادلها بين العدوتين المغربية والأندلسية .

حركة القرصنة الأراجونية :

كانت العلاقات الغرناطية الأراجونية تتسم فى الكثير من فترات مملكة غرناطة بالسلم والهدوء ،يدل على ذلك كثرة المراسلات التى دارت بين الجانبين والمحفوظة فى أرشيف التاج الأراجونى .

وكانت تلك المراسلات قد بدأت فى أواخر القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى وأبدى فيها السلطان الغرناطى محمد الثانى الفقيه[١] (٦٧١ – ٧٠٢هـ /١٢٧٢ – ١٣٠٢م) استعداد بلاده لأن تعمل على أن تكون العلاقة بين مملكة غرناطة ومملكة أراجون يسودها طابعًا من الود والحب . ومن جانبه رحب الملك الأراجونى خايم الثانى Jaim II[٢] (٦٩٠-٧٢٦هـ/ ١٢٩١-١٣٢٧م) بهذه المبادرة الغرناطية وانتهت المراسلات بتوقيع أول معاهدة بين الجانبين فى عام ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م، وأكدت على ضرورة احترام الجانبين لعمل التجار وتجارتهم، وحرية انتقالهم بين أراضى المملكتين كما نصت على وعدم التعرض لهم أو لتجارتهم بسوء أو أذى ، وأكدت

---

(١) هو أمير المسلمين محمد بن يوسف بن نصر، ثانى ملوك بنى نصر، ولد فى عام ٦٣٣ هـ/ ١٢٣٦م فى غرناطة، كان يباشر الدولة فى أيام والده مباشرة الوزير، فاطلع على أحوالها، وأثر ذلك فى أنه نهج سياسة والده، ولقب بالفقيه، وذلك لطلبه العلم، واشتغاله به فى صباه، كذلك كان يقرأ القرآن بين أهله، ويطالع كتب العلم، وكان شجاعًا، وافر العزم . عنه انظر: ابن الخطيب: الإحاطة فى أخبار غرناطة – تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة، ١٩٧٤م جـ٢، ص ص ٥٥٤-٥٦٤؛ اللمحة البدرية فى الدولة النصرية– تحقيق لجنة التراث العربى، لبنان، ١٩٨٠م ، ص ص٥٠-٥٨؛ ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر– بيروت ، ١٩٧١م ، جـ٤، ص ٢٢٠.

(٢) الملك خايم الثانى : ابن الملك الأراجونى بدرو الثالث ، تولى بعد وفاة شقيقه ألفونسو الثالث عام ٦٩١هـ/١٢٩١م . وكانت مملكة أراجون قد خسرت كثيرًا مما حققته على مر العصور فى عهد الملك ألفونسو الثالث ، لضعف شخصيته وكثرة المشكلات الداخلية ، وبعد أن تولى الملك خايم الثانى عرش المملكة عمل على استقرار الأوضاع الداخلية فقويت المملكة فى عهده. انظر : C. W. Previte Orton: A History of Europe from 1198 to 1378- London, = = 1937, p. 185; Angus Mackay: La España. de La Edad Media ,desde la frontera hasta el Imprerio - 1000-1500- Madrid, 19770., pp. 119-120.

المعاهدة على أن يكون ذلك فى البر والبحر ، وتم تحديد مدة هذا الصلح بحياة السلطان الفقيه و الملك خايم الثانى [١].

وفى عام ٧٠١هـ/ ١٣٠١م، رأى السلطان محمد الفقيه والملك خايم الثانى ضرورة تجديد الصلح بينهما، فأرسل الملك خايم الثانى رسالة إلى السلطان محمد الفقيه يطلب فيها منه تجديد الصلح، ومعاونته فى حربه ضد مملكة قشتالة، فوافق الفقيه على تجديد الصلح ، وتم إرسال رسالة إلى الملك الأراجونى تفيد بذلك ، والرسالة مؤرخة فى آخر ربيع الآخر ٧٠١هـ/ آخر دسيمبر ١٣٠١م ،وقد ركز السلطان الغرناطى فى هذه الرسالة على ضرورة احترام الجانبين الإسلامى والمسيحى للتجار من الجانبين . وحرية انتقالهم بأنواع التجارات المختلفة بين البلدين دون التعرض لهم فى البر أو فى البحر وضرورة تأمينهم[٢].

وعلى الرغم من كثرة المراسلات والاتفاقيات التى تمت بين الجانبين الغرناطى والأراجونى فقد تعرضت الكثير من السفن والموانىء البحرية الإسلامية للكثير من حركات القرصنة الأراجونية التى انتشرت فى حوض البحر المتوسط ، ووصلت إلى ذروتها فى القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى، واشتكى منها المسلمون مرات عديدة [٣].

وقد تنوعت أغراض القرصنة الأراجونية فى حوض البحر المتوسط ، فتارة كان غرضها ترويع المسلمين للحصول على الأموال مثلما أورد الرحالة ابن بطوطة فى

---

(1) M. A. Alarcon y R. Garcia De Linares: Los Documentos Arabes Diplomaticos Del Archivo de la Corona de Aragon- Madrid y Granada, 1940, pp. 1-2.

(2) Alarcon y Linares: Op. Cit., pp. 7-8.

1) Dufourcq, Ch., É.: L'Espagne Catalane et Le Maghrib aux XIIIe et XIVe Siècle- Paris, 1966, p. 575.

رحلته أنه أثناء زيارته لمدينة مالقة Malaga .[١] نزل بحارة أربعة أجفان[٢] مسيحية منطقة سهيل بين مدينة مربلة Marabella [٣]، ومدينة مالقة ، ونشروا الرعب والفزع بين السكان فجمعوا المال برسم فداء أبناءهم الذين وقعوا فى الأسر[٤]. أو القرصنة بهدف الاستيلاء على البضائع التجارية التى كانت تحملها السفن الإسلامية الغرناطية والمغربية عبر البحر المتوسط كما سيتضح فى الصفحات التالية.

---

(٢) مالقة: مدينة ساحلية جنوب شرق الأندلس ،يرجع تأسيسها إلى عام ١٢٠٠ ق.م فى عهد الفينيقيين، والذين أعطوها اسم مالقة Malako أى المملح، نسبة إلى الأسماك المملحة التى كانت تحفظ فيها ، وفى عهد ملوك الطوائف كانت مدينة مالقة عاصمة الحموديين الأدراسة من ملوك الطوائف ، وفى عصر بنى الأحمر كانت من أهم المدن التابعة لمملكة غرناطة ، حتى وصفت بأنها، العاصمة الثانية لبنى الأحمر بعد غرناطة. انظر: ابن الخطيب : مفاخرات مالقة وسلا- ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، تحقيق أحمد مختار العبادى ، الإسكندرية ، ١٩٨٣،ص ص ٨٧ – ٨٩ ؛ الحميرى : الروض المعطار فى خبر الأقطار- تحقيق إحسان عباس، بيروت،ط ٢، ١٩٨٤م ، ص ص ١٧٧ – ١٧٨ ؛انظر أيضًا:

Guillén Robles, F.: Málaga Musulmana - Málaga, 2ed, 1957, Vol., I, pp. 30 – 35.

(٣) الجفن والجمع أجفان ،وهى سفينة حربية وتجارية . ما كان يستخدم منها فى الحروب يسمى الأجفان الغزوية . وما كان يستخدم فى النقل منها يسمى الأجفان التجارية المقرى : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب- تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٨٨م ، جـ ٧، ص ٦٧؛ محمد ياسين الحموى: الأسطول العربي- دمشق، ١٩٤٥، ص ٤٤.

(١) مربلةMarabella : مدينة صغيرة تلى مدينة مالقة وتتبعها . وهى إلى الغرب منها على الساحل . مشهورة بتمليح السردين حسب ذكر ابن الخطيب . انظر : ابن الخطيب : مفاخرات مالقة وسلا، ص ٧٥.

(٢) ابن بطوطة : رحلة بن بطوطة ، بيروت ، ١٩٩٢م ، ص ص ٦٧٠ – ٦٧١ .

ويدل كثرة المراسلات بين سلاطين غرناطة وملوك أراجون بشأن حركات القرصنة التى قام بها أراجونيون ضد التجار المسلمين وتجارتهم ، على كثرة حركات القرصنة الأراجونية ، فى حوض البحر المتوسط ، وبخاصة فى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى ، الذى شهد العديد من حركات القرصنة .

فتشير الرسالة التى أرسلها السلطان الغرناطى إسماعيل الأول [١] (٧١٣-٧٢٥هـ/ ١٣١٤-١٣٢٥م) إلى الملك الأراجونى خايم الثانى عام ٧٢٣هـ/١٣٢٣م، إلى قيام مجموعة من القراصنة الأراجونيين بالاعتداء على غليوط [٢] تجارى يحمل مجموعة من تجار مملكة غرناطة من أهل المريةAlmeria [٣] كانوا متجهين إلى

(٣) هو السلطان إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر يكنى أبا الوليد، تولى فى شهر شوال سنة٧١٣هـ/ فبراير ١٣١٤م، وتوفى فى رجب سنة ٧٢٥هـ/ يوليو ١٣٢٥م. عنه انظر: ابن الخطيب: الإحاطة، جـ١، ص ص ٣٧٧-٣٨٠؛ اللمحة البدرية، ص ٧٨.

(٤) الغليوط : وهو سفينة تجارية وحربية ، يتميز بسرعته، نظرًا لضيق عرضه وكبر طوله . انظر : سعاد ماهر : البحرية في مصر الإسلامية- دار الكتاب العربي، القاهرة، = = ١٩٦٧، ص ٣٦١؛ درويش النخيلى: السفن الإسلامية على حروف المعجم –القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧٩م ، ص ٨٢.

(١) المرية Almeria: هى مدينة ساحلية بجنوب شرق الأندلس، شيدها الخليفة الأموى عبد الرحمن الثالث (الناصر) فى عام ٣٤٤هـ/ ٩٥٦م، اشتهرت فى القرنين السابع والثامن الهجريين/ الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين بصناعات عديدة من أهمها المعادن. انظر:أبو عبد الله الزهرى: كتاب الجغرافية- تحقيق محمد حاج صادق، القاهرة، د.ت. ص ص٨١-٨٢؛، ص١٠١؛ الحميري : الروض المعطار، ص ص ١٨٣-١٨٤؛

Cf. : A. Rahman Zaki: Islamics Words- Cairo, 1965, p.285.

مدينة لقنت Leicante [١]التابعة لأراضى مملكة أراجون بهدف المتاجرة ، وجلب السلع، وأثناء سير الغليوط المسلم فى البحر تعرض لهجوم من قبل قرقورة[٢] أراجونية ، تابعة لأهل تلك المدينة ، وكان أن أسروا اثنين من التجار المسلمين واستولوا على بضاعتهم . وبعد أن قدم التجار المسلمين شكواهم إلى أهالى المدينة (لقنت) قام أهالى المدينة برد الأسيرين وبعض التجارة إلى المسلمين . لكن بعد أن أقلع الغليوط الإسلامى محملاً ببعض التجارة الأراجونية عائدًا إلى المرية تبعه شيطى [٣] أراجونى، وهاجم من فيه، واستولى على الغليوط وما به من بضائع وأسروا منه امرأتين وصبيين [٤].

وفى محرم عام ٧٣٨هـ / أغسطس عام ١٣٣٧م أرسل السلطان الغرناطى يوسف الأول[٥] (٧٣٣-٧٥٥هـ/١٣٣٣-١٣٥٤م) رسالة إلى الملك الأراجونى بدرو

---

[٢] مدينة لقنت Leicante : مدينة أراجونية صغيرة عبارة عن مرسى حسن ومكمن لمراكب الأراجونيين وهى عامرة بالسكان بينها وبين دانية على الساحل سبعين ميلاً ولها قصبة منيعة فى أعلى جبل بها .انظر: الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٧٠.

[٣] هى سفينة تجارية وحربية ضخمة كانت تستخدم فى نقل البضائع التجارية ،كما كانت تحمل المؤن للأساطيل الحربية .ولها ثلاثة أشرعة، ولها القدرة على السير في الرياح العاصفة محمد المنوني:ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين- منشورات كلية الآداب، الرباط، ١٩٧٩،ص ٧٨ .

[٤] مركب تجارى وحربى يجدف بثمانين مجدافًا، ومهمته استطلاع الموانئ واستكشافها، وهو يتميز بسرعته انظر : سعاد ماهر : البحرية في مصر الإسلامية، ص. ٣٥٢.

(1) Alarcón y Linares :Los Documentos Árabes Diplomáticos, p. 12.

(٢) هو السلطان يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر الأنصارى الخزرجى، تولى بعد وفاة شقيقه محمد بن إسماعيل، وكان عمره وقتها خمسة عشر عاماً وثمانية أشهر. توفى فى عام ٧٥٥هـ/١٣٥٤م، مقتولاً على يد رجل مخبول، يوم عيد الفطر. ومن صفاته

الرابع Pedro IV [١] (٧٣٤-٧٨٧هـ/١٣٣٦-١٣٨٥م) يشكو له فيها من تكرار قيام بعض القراصنة الأراجونيين بالتعرض للمسلمين وتجارتهم فى حوض البحر المتوسط ،وقد حدد السلطان الغرناطى مواطن القراصنة الأراجونيين الذين كثرة منهم الشكايات وبخاصة سكان بلدة لقنت ، وشكى له كثرة تعرضهم للسواحل الغرناطية ، كما أنه حدد شكواه فى تلك الرسالة من استيلاء بعض من قراصنة تلك البلاد على شيطى يحمل تجارًا مسلمين من مملكة غرناطة، كانوا متجهين بتجارتهم إلى مملكته، فاستولوا على الشيطى ومن به من المسلمين ، وحملوهم إلى بلنسيةValencia[٢]، فخاطبه فى

الشخصية أنه كان دائمًا يرجح العقل، ويقرب منه أصحاب الآراء المتزنة . عنه انظر:ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام – القسم الثانى، تحقيق ليفى بروفنسال، بيـروت، ١٩٥٦م ، ق٢، ص ص٣٠٤-٣٠٦؛ الإحاطـة، جـ٤، ص ص ٣١٨-٣٢٠؛ اللمحـة البدريـة، ص ص ١٠٢-١١٢؛ انظـر أيضًـا: محمد كمـال شـبانة: يوسـف الأول سـلطان غرناطـة – القاهرة، ١٩٦٩م، ص ص ٣٠-٥٠.

(٣) بعد وفاة الملك ألفونسو الرابع ملك أراجون فى عام ٧٣٦هـ/١٣٣٦م، تولى عرش أراجون ابنه وبدأت أراجون فى عهد ملكها الجديد تشهد مرحلة جديدة فى تاريخها، Pedro IVبدرو الرابع حيث عمل بدرو الرابع على حدوث طفرة ونهضة فى شتى المجالات، سياسية، واقتصادية، وثقافية. استمر فى الحكم حوالى خمسين عامًا، كانت سببًا فى استقرار الأوضاع الداخلية والخارجية فى مملكة أراجون. عنه انظر:

Rafeal Altamira: A History of Spain From The beginnings to The Present day- Translated by Munalee, London, 1949 ,pp. 261 -262 .

[١] بلنسية Valencia: مدينة على ساحل البحر المتوسط ، وعلى بعد أربعة كيلو مترات منه ،تقع فى شرق الأندلس ، شرقى قرطبة من المدن الهامة. سقطت فى أيدى الأراجونيين ٦٣٦هـ/١٢٣٨م.وكانت من أهم موانئهم البحرية. انظر: الزهرى: كتاب الجغرافية، ص١٠٢؛ ياقوت الحموى : معجم البلدان– بيروت ، د.ت ، جـ١، ص ٤٩٠؛ الحميرى : الروض المعطار، ص ص ٩٧-١٠١.

ذلك ،وطلب منه التدخل للإفراج عن هؤلاء التجار، والسماح لهم بالعودة إلى مملكتهم غرناطة ، كما طلب منه ضرورة العمل على حرية انتقال التجار بين المملكتين ومحاربة القرصنة(١).

كما أرسل السطان الغرناطى يوسف الأول رسالة إلى الملك الأراجونى بدرو الرابع مؤرخة بجمادى الأولى عام ٧٤٥ هـ/سبتمبر ١٣٤٤م ، يشكو له فيها كثرة قيام القراصنة الأراجونين بحركات قرصنة فى حوض البحر المتوسط ، وكثرت الشكاوى التى ترد السلطان الغرناطى من المسلمين بهذا الخصوص ، ويطلب السلطان من الملك أن يتدخل لمنع تكرار مثل هذه الغارات ، وكذلك رد هؤلاء المسلمين إلى بلادهم (٢).

كما تؤكد رسالة السلطان الغرناطة أبو الحجاج يوسف الأول إلى الملك الأراجونى بدرو الرابع والمؤرخة ربيع الأول عام ٧٤٦هـ/ ٥يوليو ١٣٤٥م ، على شراسة حركة القرصنة الأراجونية فى تلك الفترة ، ففى تلك الرسالة يشير السلطان الغرناطى أنه على الرغم من انعقاد الصلح الدائم بين المملكتين ،إلا أن الأجفان الأراجونية والقراصنة الأراجونين لا زالوا يهاجمون المسلمين وتجارتهم وأن ما فقده المسلمون فى حركات القرصنة لم يفقدوا مثله فى الحروب بين الجانبين ، فى إشارة واضحة منه إلى شراسة حركة القرصنة الأراجونية فى تلك الفترة . وأشار السلطان الغرناطى فى رسالته أنه تم حصر ما يمكن حصره من المسلمين المأسورين بحركات قرصنة ، وكذلك التجار وما فقدوه من تجارة وأموال وأرسلها إلى الملك الأراجونى ليتخذ اللازم نحوها بأن يأمر بإعادتهم وأموالهم . كما طلب منه أن يرسل أوامره إلى ولاة البلاد الأراجونية المطلة على الساحل ويأمرهم بضرورة ضبط سواحلهم ، والقضاء

(2) Alarcón y Linares :Los Documentos Árabes Diplomáticos, p. 104.
(3) Ibid., pp. 113-114.

على القراصنة الذين يهاجمون مواقع إسلامية باستمرار ، وذلك هو السبيل الوحيد لإقرار الصلح الحق بين الجانبين الغرناطى والأراجونى . [١].

أثر القرصنة الأراجونية فى العلاقات المغربية الأندلسية :

تأثرت العلاقات المغربية الأندلسية فى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى بحركات القرصنة الأراجونية فى حوض البحر المتوسط ، وبخاصة العلاقات التجارية بين الجانبين ، فلم تقتصر حركات القرصنة على مهاجمة السفن الغرناطية التجارية المتجهة إلى بلاد مسيحية ، بل امتدت أيضًا للهجوم على السفن التجارية المتنقلة بين بلاد المغرب وبلاد الأندلس فى تلك الفترة.

يؤكد ذلك رسالة السلطان الغرناطى أبو الوليد إسماعيل إلى الملك خايم الثانى ملك أراجون والمؤرخة فى شهر محرم عام ٧٢٣هـ/ يناير ١٣٢٣م ، والتى شكا له فيها من أن جفن غرناطى كان فى طريقه من مدينة مترايل Motril [٢] من بلاد الأندلس إلى مملكة بنى زيان [٣] ببلاد المغرب ، باتجاه ميناء هنين [١] ، وكان على

---

(1) Alarcón y Linares :Los Documentos Árabes Diplomáticos, pp.128-129.

[١] مترايل Motril : وهى الآن تعرف باسمها Motril تبعد عن غرناطة حوالى ٧٤ كم من ناحية الساحل شرقًا.وتعتبر الآن من أهم توابع مدينة غرناطة . كانت أرضها من ممتلكات السلطان الخاصة زمن بنى الأحمر . انظر : ابن الخطيب: معيار الاختيار ضمن مشاهدات – تحقيق أحمد مختار العبادى ، الأسكندرية، ١٩٨٣م ، ص ٨١ ،هـ١.

[٢] بنو زيان أو بنو عبد الواد هم بطن من بطون زناتة ، وهم بذلك أبناء عموم لبنى مرين . لكنهم كانوا على عداء دائم معهم . وكثيرًا ما وقفوا بجانب الموحدين ضد بنى مرين . وعندما قامت دولة بنى مرين فى المغرب الأقصى لم تقبل قبيلة بنى عبد الواد بهذا الأمر ، فاحتدم الصراع بينهما .وأعلن أبو يحى يغمراسن بن زيان قيام دولة بنى زيان أو بنى عبد الواد فى عام ٦٣٣هـ/١٢٣٥م واتخذت الدولة من مدينة تلمسان عاصمة لها . وامتدت الدولة من البحر المتوسط شمالاً وحتى صحراء الجزائر جنوبًا . انظر : يحيى بن خلدون : بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبد الواد –

متن الجفن الغرناطى ثمانية أشخاص من أهالى مملكة غرناطة أحدهما من مدينة غرناطة العاصمة والثانى من مدينة وادى آش Guadix [٢]والثالث من مدينة المنكب Almanecar [٣]، وأثناء إبحارهم فى البحر المتوسط اعترضهم جفن من أجفان أراجون من مدينة بلنسية بقيادة أحد القراصنة ويدعى برنقير قلفاط Berenguer Calafate ، واستولى على الجفن الغرناطى وعلى من فيه من التجار ، وكذلك أخذ بضاعتهم التى كانوا متجهين بها إلى ميناء هنين . [٤].

كما أرسل السلطان يوسف الأول إلى الملك الأراجونى بدرو الرابع فى رجب عام ٧٣٩هـ / يناير عام ١٣٣٩م ، برسالة شكا له فيها أن قرقورة تجارية غرناطية كانت متجهة من مدينة المرية ومحملة بالتجارة إلى بلاد المغرب ، فكتب الله عليها بالغرق بالقرب من ساحل القبطة قرب المرية فخرج الذين نجوا منها إلى الساحل ،

تحقيق عبد الحميد حاجيات، الجزائر، ١٩٨١م ، جـ ١، ص ٣٣-٥٠؛ ابن خلدون : العبر، جـ ٧، ص ص ٢٢١-٢٢٧.

(١) هنين : مدينة ساحلية ببلاد المغرب تقع على ساحل البحر المتوسط وهى تقع فى الغرب من مدينة وهران وإلى الشمال من مدينة تلمسان وبالقرب منها . انظر: الحميرى : الروض المعطار ، ص ٥٩٧.

(٢) وادى آشGuadix :مدينة قريبة من غرناطة يقع فى الشرق منها جبل شيلر أو جبل الثلج .وتقع على ضفة نهر ينبع بالقرب من الجبل. مشهورة بكثرة الزروع والثمار المتنوعة خاصة التوت والأعناب والزيتون. انظر : االحميرى: الروض المعطار ، ص ص ٦٠٤-٦٠٥؛ المقرى: نفح الطيب، جـ ١، ص ١٤٨.

(٣) المنكب Almunecar : ميناء ساحلى يقع فى جنوب شرق الأندلس ، وتتبع مدينة المنكب مقاطعة غرناطة ، واسم المنكب اسم عربى يعنى الحصن المرتفع. كثيرة مصايد السمك وكثيرة زراعة الفواكة . بينها وبين غرناطة مسافة تقدر بأربعون ميلاً. انظر : الحميرى : الروض المعطار ، ص ص ٥٤٨-٥٤٨٩..

(4) Alarcón y Linares :Los Documentos Árabes Diplomáticos, pp.11-12..

فهاجمهم جفنين من أراضى تابعة لمملكة أراجون ، وأسروا التجار المسلمين الذين نجوا من الغرق ، وكان هؤلاء التجار من مسلمى المرية ومالقة وبلاد أندلسية أخرى ، ويطلب السلطان الغرناطى فى رسالته من الملك الأراجونى ضرورة التدخل لإنهاء هذه المشكلة وعودة المسلمين إلى بلادهم مرة أخرى (١).

وفى رسالة أخرى موجهة من السلطان النصرى أبو الحجاج يوسف الأول إلى الملك الأراجونى بدرو الرابع ومؤرخة فى الأول من شعبان ٧٤٥ م / ٨ ديسمبر ١٣٤٤م يشكو له فيها من قيام مجموعة من القراصنة الأراجونين بمهاجمة جفنًا إسلاميًا لتجار من مدينة مالقة ، كانوا متجهين ببضاعتهم إلى بلاد المغرب ، فهاجمهم شيطى يمتلكه نصرانى من مدينة بلنسية ، وأسر اثنين من التجار المسلمين ، وذكرت الرسالة أسماء الأسيرين وهما محمد الشنارى ،ومحمد السواحى ، ويذكر السلطان الغرناطى فى رسالته أن تاريخ أسرهما كان قبل تاريخ هذه الرسالة بخمسين يومًا، ويأمل أن يتدخل الملك الأراجونى فى الأمر بالبحث عنهما وعودتهما على أراضى مملكة غرناطة . (٢)

كما أرسل السلطان الغرناطى أبو الحجاج يوسف الأول رسالة إلى الملك الأراجونى بدرو الرابع مؤرخة بالعاشر من شهر شعبان عام ٧٤٥هـ/ ١٧ ديسمبر ١٣٤٤م يشكو له فيها من أن تجار من مدينة مالقة كانوا قد استأجروا جفنًا من رجل مسيحى من أهل بلنسية اسمه بون ناط بشك Bon Nanat Boch وذلك فى شهر ربيع الأول من نفس العام /الموافق لشهر يوليه ، وكان من بين شروط التجار وصاحب الجفن أن يقوم بتوصيل القمح من مدينة أنفا المغربية إلى مدينة مالقة ببلاد الأندلس ، ولما اقترب الجفن المذكور من مرسى مدينة مالقة هاجمه ثلاثة أجفان

(1) Alarcón y Linares :Los Documentos Árabes Diplomáticos.,p. 106.

(2) Ibid.,p. 124.

لقراصنة أراجونين ، واستولوا على الجفن ، وعلى شحنة القمح الموجودة على متنه، وطلب السلطان الغرناطى من الملك الأراجونى أن يقوم برد القمح الذى أخذه القراصنة ،أو رد قيمته إلى أصحابه من التجار المسلمين ، ويؤكد السلطان الغرناطى فى رسالته أنه ما أرسل فى هذا الشأن على الملك الأراجونى إلا بعد أن تأكد من ذلك الأمر ، كما تأكد كذلك من كمية القمح التى استولى عليها القراصنة(١).

وفى رسالة مؤرخة بنفس التاريخ السابق وربما كانت مرفقة بالرسالة سالفة الذكر ،أرسل السلطان الغرناطى يوسف الأول إلى الملك الأراجونى بدرو الرابع كتابًا بأسماء التجار المسلمين الذين فقدوا قمحهم فى حركة القرصنة سالفة الذكر ، كما حدد الكمية التى فقدها كل منهم ، فيذكر أن أحد تجار مالقة ويسمى على بن إبراهيم بن قاسم أُخذ له من ذلك الطعام قفيزان من أقفزة أنفا كل قفيز منهما مائة قدح وواحد وعشرون قدحًا من أقداح الأندلس. والتاجر قاسم بن عبد الله السقا الذى فقد ستمائة وأحد عشر قدحًا . والتاجر موسى بن محمد الكواب من أهل مالقة أُخذ له ثلاثمائة وأحد وستون قدحًا من القمح ن والتاجر محمد بن محمد الغرطشى الذى أُخذ له ثلاثمائة وأربعة وخمسون قدحًا . والتاجر محمد بن يحى بن حميد الأمين ، الذى أُخذ له من ذلك القمح ألف وستمائة وواحد وثمانون قدحًا وطلب السلطان الغرناطى فى نهاية رسالته من الملك الأراجونى رد هذه الحمولة أو رد ثمنها (٢).

وفى رسالة بنفس الخصوص ،أرسلها السلطان الغرناطى يوسف الأول إلى الملك الأراجونى بدرو الرابع ومؤرخة بمنتصف شعبان عام ٧٤٥هـ/ الموافق ٢٢ ديسمبر ١٣٤٤م ، ومفادها أن مجموعة من التجار المسلمين بعضهم من بلاد المغرب وبعضهم من بلاد الأندلس من غرناطة ومالقة والمرية استأجروا جفنًا من

(1) Alarcón y Linares :Los Documentos Árabes Diplomáticos, pp.117-118.

(2) Ibid, p.116.

نصرانيًا (لم تحدد الرسالة من أى البلاد هو) وكان مع التجار فى الجفن كم كبير من الأموال والبضائع وكانوا عائدين من بلاد المغرب إلى مدينة المرية وكان أن تعرض الجفن لنوء وكاد الجفن أن يغرق بالقرب من ساحل المرية ، وكان بالقرب منه ثلاثة أجفان مملوكة لقراصنة أراجونين ، وسارعت الأجفان الأراجونية بالاقتراب من الجفن الذى كان يقل التجار المسلمين وتظاهروا بإنقاذه ، وطلبوا من التجار المسلمين تسليمهم ما معهم من بضاعة وأموال ، خشية الغرق أو السلب والنهب ، فوافق التجار المسلمون على ما طلبه القراصنة ، وسلموهم كل ما معهم من بضاعة وأموال ،إلا أنهم خانوهم فيما اتفقوا عليه وأسروا من كان فى الجفن من المسلمين ، وأبحروا بهم إلى السواحل الأراجونية، وأوضح السلطان الغرناطى أنه قد أرسل مرفقًا مع هذا الكتاب كشف بالأسرى المسلمين والمبالغ المالية التى فقدها كل منهم [١].

وقد أرفق السلطان الغرناطى يوسف الأول مع هذه الرسالة كتابًا بأسماء التجار الغرناطيين الذين أُخذت أموالهم وتجارتهم وهم : التاجر محمد بن حسن الوهرانى من أهل المرية وقد أُخذ منه أربعون دينارًا من الذهب . والتاجر محمد ين سعد المعروف بخريصة وهو من أهل المرية وأُسر وأُخذ منه ماله ويبلغ خمسة وأربعون دينارًا من الذهب . والحاج محمد السقا من أهل مالقة ، أُخذ منه ماله وأُسر (لم تحدد الوثيقة المبلغ) . والتاجر إبراهيم الوادى آشى أُخذ منه ماله وأُسر (لم تحدد الوثيقة المبلغ) . والتاجر محمد المرينى أُخذ منه ماله وأُسر (لم تحدد الوثيقة المبلغ) [٢].

وفى رسالة أخرى مؤرخة بعام ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م أرسلها السلطان الغرناطى يوسف الأول إلى الملك الأراجونى بدرو الرابع يشكو له فيها هجوم شيطى أراجونى

---

(1) Alarcón y Linares :Los Documentos Árabes Diplomáticos, p.122..

(1) Alarcón y Linares :Los Documentos Árabes Diplomáticos, p.121..

من بلنسية على جفن يحمل تجارًا غرناطين ومغاربة ومحملاً بشحنة تجارية من التين المالقى ، متجهين بها من بلاد الأندلس إلى مدينة سبتة[١] المغربية [٢].

وفى عهد السلطان محمد الخامس الغنى بالله[٣] (٧٥٥- ٧٩٣هـ/١٣٥٤-١٣٩١م) استمرت حركة القرصنة الأراجونية فى حوض البحر المتوسط يؤكد ذلك رسالته التى أرسلها إلى الملك الأراجونى بدرو الرابع والمؤرخة بعام ٧٧٩هـ/١٣٧٧م ، والتى طلب فيها من الملك الأراجونى ضرورة التأكيد على حكام المدن الساحلية بالعمل على منع القرصنة الأراجونية التى تستهدف السفن التجارية الإسلامية ، كما طلب منه أن يعمل على رد عدد من التجار المسلمين من مملكة غرناطة كان القراصنة قد أسروهم ، وكانوا يستقلون غرابًا من مدينة المرية، كما ذكرت الرسالة أن عددهم بلغ أربعة وعشرين رجلاً[٤] .

---

[٢] سبتة: بفتح السين وسكون الباء، مدينة ساحلية من مدن المغرب الأقصى. مشهورة بماضيها العريق فى الثقافة الإسلامية.وهى عبارة عن شبه جزيرة فى مضيق جبل طارق، تحيط بها الجبال من ناحية الجنوب. وموقعها هذا جعل اتصالها بالأندلس يسيرًا . انظر: ياقوت الحموى: معجم البلدان ،جـ٥، ص ٢٦؛ ابن الخطيب:معيار الاختيار ، ص ص ١٠١-١٠٢؛ الحميرى : الروض المعطار ، ص ص ٥٠٣-٥٠٤.

[3] Sanches Martinez, Manuel : Comercio Nazari y pirateria Catalano – Aragonesa (1344-1345) - en Relaciones de la Peninsula Ibérica con El Magreb Siglos XIII- XVI- Madrid, 1988, p.82.

[٤] السلطان محمد الخامس هو محمد بن السلطان أبى الحجاج يوسف الأول بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر. ولد فى ٢٢ جمادى الآخر سنة ٧٣٩ هـ / ٢١ يناير ١٣٣٨م ٠ وتولى فى عام ٧٥٥هـ / ١٣٥٤م بعد وفاة والده، وظل فى الحكم حتى كانت وفاته فى عام ٧٩٣ هـ / ١٣٩١م ٠ عنه انظر: ابن الخطيب: الإحاطة، جـ٢، ص ١٣؛ اللمحة البدرية ، ص ١١٣ .

[1] Alarcón y Linares :Los Documentos Árabes Diplomáticos, p.121..

ولم تقف القيادة الغرناطية مكتوفة الأيدى أمام حركات القرصنة الأراجونية فكان حكامها يشترطون على مملكة أراجون لإقرار الصلح معها أن يكف الأراجونيون عن حركات القرصنة، وعدم التعرض للتجارة الغرناطية .

ففى عام ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م أرسل السلطان الغرناطى أبو الوليد إسماعيل رسالة أخرى إلى ملك أراجون خايم الثانى يخبره فيها أن مملكة غرناطة تشترط لتجديد الصلح مع أراجون حرية انتقال التجار المسلمين بين المملكتين دون التعرض لأى منهما سواء من الجانب الاسلامى أو الجانب المسيحى. كما طلب أيضًا حماية التجار المسلمين من أعمال القراصنة المسيحيين التابعين لمملكة أراجون ، وطلب منه ضرورة التشديد على القراصنة الأراجونيين بعدم التعرض للتجار المسلمين، أو تجارتهم ،أو الهجوم على السواحل أو الموانئ الغرناطية [١].

(2) Ibid, p.56..

الخاتمة

توصل الباحث من خلال هذه الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها :

أولاً :

قامت ثلاث دول فى بلاد المغرب العربى على أنقاض الدولة الموحدية ، هذه الدول هى دولة بنى حفص فى المغرب الأدنى ودولة بنى زيان فى المغرب الأوسط ودولة بنى مرين فى المغرب الأقصى ، وكانت هذه الدول قد ارتبطت ببلاد الأندلس الإسلامية بعلاقات وطيدة ، كانت هذه العلاقات أهم عوامل بقاء آخر دولة للمسلمين فى بلاد الأندلس وهى مملكة غرناطة الإسلامية التى قامت هى الخرى على أنقاض الدولة الموحدية ن وكانت مملكة غرناطة قد استمرت قرابة القرنين ونصف القرن من الزمان بفضل علاقاتها ببلاد المغرب .

ثانيًا :

تأثرت العلاقات المغربية الأندلسية بحركة القرصنة الأراجونية فى حوض البحر المتوسط إلى حد كبير، وبخاصة العلاقات التجارية ، فقد تسببت حركة القرصنة فى إعاقة حركة التجارة بين العدوتين فى كثير من الحيان فقد خشى التجار فى مرات عديدة على تجاراتهم من القراصنة الأراجونين فى حوض البحر المتوسط، بل عزفوا عن ممارسة التجارة فى مرات أخرى .

ثالثًا :

كانت أكثر المراسلات التى دارت بين ملوك غرناطة وملوك أراجون تتعلق بحركات القرصنة الأراجونية حتى أن السلاطين المسلمين اشترطوا فى مرات عديدة لإقرار الصلح بين الجانبين القضاء على حركة القرصنة ومنع القراصنة الأراجونين من مهاجمة السفن الإسلامية ، وعلى الرغم من كثرت المراسلات بين الجانبين بهذا

الخصوص إلا أن ذلك لم يمنع حركات القرصنة الأراجونية والتى استمرت طوال عصر بنى الأحمر . ومع تكرار شكاوى التجار المسلمين مغاربة وأندلسيين من تكرار حركات القرصنة الأراجونية بدأ المسلمون فى مملكة غرناطة يشترطون على ملوك الممالك المسيحية لعقد الصلح بين الجانبين أن تعمل حكومة مملكة أراجون بكل حزم وجد فى مقاومة حركات القرصنة الأراجونية ، وإلا فإن الممالك الإسلامية مغربية وأندلسية سترفض عقد أو حتى تجديد الصلح بين الجانبين . والغريب أنه قد ثبت من الرسائل المتبادلة بين الجانبين الإسلامى والمسيحى أن ملوك أراجون أنفسهم لم يتمكنوا من السيطرة على القراصنة الأراجونين ومنعهم من ممارسة حركات القرصنة فى حوض البحر المتوسط . يبرهن لذلك تعهدات ملوك أراجون لسلاطين الدلو الإسلامية فى بلاد المغرب وفى الأندلس ببذل الجهد فى التغلب على حركات القرصنة لكن ذلك لم يأت بنتيجة ، واستمرت حركة الترجمة طوال عصر مملكة غرناطة آخر الممالك الإسلامية فى بلاد الأندلس .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية :

الحميرى: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم(ت ق ٩ هـ /١٥م الروض المعطار فى خبر الأقطار – تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٨٤م.

ابن الخطيب: أبو عبد الله محمد لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ/ ١٣٧٤م)

الإحاطة فى أخبار غرناطة – تحقيق عبد الله عنان، القاهرة، ١٩٧٤م.

أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام – تحقيق ليفى بروفنسال، بيروت، ١٩٥٦م.

اللمحة البدرية فى الدولة النصرية –تحقيق لجنة التراث، بيروت، ١٩٨٠م.

معيار الاختبار فى ذكر المعاهد والديار – ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، تحقيق د/ أحمد مختار العبادى، الإسكندرية، ١٩٨٣م.

مفاخرات مالقة وسلا – ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، تحقيق د/ أحمد مختار العبادى، الإسكندرية، ١٩٨٣م.

ابن خلدون: أبو زكريا يحي بن خلدون (ت ٧٨٠ هـ/ ١٣٧٨م)

بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبد الواد – تحقيق عبد الحميد حاجيات، الجزائر، ١٩٨١م.

ابن خلدون: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥م).

العبر وديوان المبتدأ والخبر – بيروت، ١٩٧٩م.

الزهرى: أبو عبد الله محمد (ت فى أواسط ق ٦هـ/١٢م)

كتاب الجغرافية – تحقيق محمد حاج صادق، القاهرة، د.ت.

مجهول:

أخبار العصر فى انقضاء دولة بنى نصر – تحقيق د/ حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٩١م.

المقرى: شهاب الدين أحمد بن محمد (ت ١٠٤١ هـ/ ١٥٣١م)

نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب تحقيق د/ إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٨م.

ياقوت الحموى: شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩م)

معجم البلدان – بيروت، د.ت.

ثانيًا: المراجع العربية والمعربة

أشباخ: (يوسف): تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين – ترجمة أ/ محمد عبد الله عنان، القاهرة، ١٩٤١م.

جوليان: (أندرية):تاريخ أفريقيا الشمالية – ترجمة محمد مزالى، تونس، ١٩٧٨م.

الحريرى: (د. محمد عيسى):تاريخ المغرب العربى والأندلس فى العصر المرينى – الكويت، ١٩٨٥م.

شبانة : (د.محمد كمال)يوسف الأول سلطان غرناطة – القاهرة، ١٩٦٩م

الطوخى: (د. أحمد محمد): مظاهر الحضارة فى الأندلس فى عصر بنى الأحمر– الإسكندرية،١٩٩٧م

عاشور: (د. سعيد عبد الفتاح): تاريخ أوربا فى العصور الوسطى – القاهرة، ١٩٥٩م

العبادى: (د. أحمد مختار): دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس – الإسكندرية، ١٩٦٨م.

فرحات: (د. يوسف شكرى):غرناطة فى ظل بنى الأحمر – بيروت، ١٩٨٢م.

المصادر والمراجع الأجنبية

Alarcon Y Linares: (M.A. Y R. Garcia): Los Documentos Arabes Diplamaticos del Archivo de la Corona de Aragon-Madrid Y Granada, 1940.

Arie: (Dr. Rachel): El Reino Nasri de Granada (1232-1492) – Madrid, 1992.

Brooke: (Z. N.): A History of Europe from 911 to 1198 – London, 1937 Cambridge Medieval History – Vol. 7,8, Cambridge, 1932.

Harvey: (L. P.): Islamic Spain (1250 – 1500) – London, 1990.

Hillagrth: (J. N.): The Spanish Kingdoms – Oxford, 1976

Mackay: (Angus): La Espana de la Edad Media (1000 – 1500) – Madrid, 1977

Joseph, F. O'Callaghan: A History of Medieval Spain – Ithaca, 1975

Pirenne: (Henri): A History of Europe from the Invasions to the XVI Century – London, 1948.

Robles, F.: (Giullen Robles, F) Malaga Musulmana - Malaga, 2ed, 1957